Al-Basirah البصيرة
Volume 10, Issue 02, (Jul-Dec 2021)
https://albasirah.numl.edu.pk/ eISSN: 2222-4548, pISSN: 2520-7334

الأسس المشتركة للتعايش السلمي في معاهدات النبي صلى الله عليه وسلم: دراسة تحليلية

The Common Foundations of Peaceful Coexistence in the Treaties of the Prophet Muhammad (ﷺ): An analytical study

Dr. Abdul Qadir Haroon *
Dr. Ikram ul Haq **

Received: Nov 6, 2021 | Revised: Dec 26, 2021 | Accepted: Dec 29, 2021 | Available Online: February 05, 2022
DOI: https://doi.org/10.52015/albasirah.v10i2.49

ABSTRACT

Allāh Almighty sent His Noble Prophet Muhammad peace be upon him, as a herald, a warner, and a mercy to the worlds, and He peace be upon him, bore that heavy trust, extending it to all people, without any fatigue, boredom, defeat, or retreat. He was, by the grace of Allāh Almighty, prepared in unique moral character that suited to the universal nature of His message. In this humble work we intend to reflect on how this great man behaved in diverse situations and with different kinds of people.

The Prophet, may God's prayers and peace be upon him, had pacts and treaties with people of different nationalities and creed. Before going to that, we need to have a quick and comprehensive look at the people and map of the region; in addition to the contextualizing their political, social, and religious circumstances in which He was sent. In this way, we can appropriately determine what He contributed it in its correct historical and social framework. Finally, we will see the value and significance of major accomplishments in making covenants with the neighboring and surrounding nations and tribes.

Keywords: *Charter, Coexistence, Missions, Peace Treaties, , Pluralistic society.*

Funding: This research received no specific grant from any funding agency in the public, commercial, or not-for-profit sectors.

Correspondence Author: Ahroon58@hotmail.com

* الأستاذ المساعد، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد
Ahroon58@hotmail.com
** الدكتوراه في قسم الحديث وعلومه، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد

Al Baṣīrah, Department of Islamic Studies, NUML, Islamabad. https://albasirah.numl.edu.pk/
This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License (CC BY-NC 4.0)

التمهيد:

لقد أرسل الله تعالى نبيه الكريم محمد ﷺ بشيرا ونذيرا ورحمة للعالمين، قال تعالى:"إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ" [1]. وقال تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ" [2].

وقد تحمل عليه السلام تلك الأمانة الثقيلة، مبلغا إياها للناس كافة، دون كلل أو ملل أو انهزام وتراجع، تحملها بروح عالية سامقة، وبأخلاق حباه الله بها، فقد أعده الله مسبقا بخصوصية، فكانت أخلاقه أخلاقا فريدة تناسب تلك الرسالة وعالميتها، قال تعالى: "إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ" [3].

وكما يروي سعد بن هشام رضي الله عنه أنه سأل أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ قائلا: "أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَتْ: أَلَسْتَ تقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قلْتُ: بلَى، قَالَتْ: فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ" [4].

لذلك سننظر كيف يكون تصرف هذا الإنسان العظيم في المواقف المختلفة ومع مختلف الأقوام.

إن الحديث عن مواقف النبي عليه السلام ومعاهداته مع الآخرين من الأقوام المختلفين قومية وعقيدة، والحديث عما جاء فيها من البنود يتطلب منا قبل ذلك القاء نظرة سريعة شاملة على واقع وخارطة المنطقة التي ظهر فيها عليه السلام وما جاورها من أقوام وللتعرف على حالهم وواقعهم السياسي والاجتماعي والديني، كي يتسنى لنا وضع ما قام به عليه الصلاة والسلام في سياقها التاريخي والاجتماعي الصحيحين ثم تقييم ما قام به عليه السلام من إبرام للعهود مع الأقوام والقبائل المجاورة والمحيطة. لقد اتسمت المنطقة في تلك الحقبة الزمنية بما يلي:

أ. وجود قوتين أو دولتين عظيمتين مجاورتين لشبه الجزيرة العربية، وهما امبراطورية الفرس وامبراطورية الروم.

ب. وجود القبائل المتعددة والمتنوعة في شبه الجزيرة العربية.

ج. وجود الكعبة المشرفة والتي كان الناس يتوجهون إليها لأداء مناسك الحج والتعبد.

د. تعدد الديانات في شبه الجزيرة وما حولها.

---

1 البقرة 2: 219.

2 الأنبياء 21: 107.

3 القلم 68: 4.

4 مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض، بيروت، دار إحياء التراث العربي، رقم الحديث: 746، 512/1.

Al Baṣīrah, Department of Islamic Studies, NUML, Islamabad. https://albasirah.numl.edu.pk/
This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License (CC BY-NC 4.0)

المبحث الأول: نبذة عن الأحوال السياسية في المنطقة

أولا: الإمبراطورية الفارسية: تقع الإمبراطورية الفارسية أو الدولة الفارسية شمال شرق شبه الجزيرة العربية على مساحة شاسعة، وقد اتسمت هذه الإمبراطورية بما يلي:

أ. أنها أكبر مساحة من الإمبراطورية الرومانية.

ب. كان الحكم فيها وراثيا، ويعتبر الحكام أنفسهم من نسل الآلهة مما يجعلهم يملكون كل شيء من موارد البلاد والعباد.

ج. يعيش المواطنون عيشة البهائم، لا يصلحون إلا أن يكونوا جنودا، بل عبيدا للحكام من خلال الخدمة العسكرية.

د. الظلم الواقع على الناس الذين أثقلتهم الضرائب ولم تبق لهم ما يحرصون عليه.

هـ. كثرة الديانات المنحرفة المختلفة مثل الزرادشتية، والمانية، والمزركية.

و. انتشار الإباحية التي دعت إليها الديانة المزركية، وبالتالي ظهور الثورات والفوضى.

ثانيا: الإمبراطورية الرومانية:

الإمبراطورية الرومانية أو الإمبراطورية البيزنطية، والتي تقع شمال غربي شبه جزيرة العرب، والتي كانت تحكم دول اليونان، والبلقان، وسوريا، وفلسطين، وحوض البحر المتوسط بأسره، ومصر، وشمال أفريقيا، وقد اتسمت هذه الإمبراطورية بما يلي:

ز. مارست الإمبراطورية الرومانية الظلم والقهر والاستبداد السياسي والاضطهاد الديني على الناس في مختلف البقاع.

ح. يعتمد الحكم على القوة المفرطة مع الناس.

ط. في نفس الوقت كان الناس يحرصون على كل أنواع اللعب والطرب واللهو، وقد انتشرت المسارح والميادين التي تجري عليها المصارعات بين بني البشر تارة وبين البشر والسباع تارة أخرى، وكانت العابهم دموية بشعة.

ي. كانت العقوبات التي تمارس ضد الناس عنيفة وفضيعة.

ك. كانت حياة الحكام والكبراء حياة ترف ومجون ومؤامرات وعادات سيئة.

Al Baṣīrah, Department of Islamic Studies, NUML, Islamabad. https://albasirah.numl.edu.pk/
This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License (CC BY-NC 4.0)

اتسمت العلاقة بين هاتين الإمبراطوريتين بتواصل الحروب الطاحنة، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى:"غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بعْدِ غَلَبِهِمْ سَيغْلِبُونَ" [1].

ثالثا: شبه الجزيرة العربية:

لقد اتسمت شبه الجزيرة العربية بمايلي:

ل. كان هناك عدد من الممالك القائمة في الجزيرة العربية والتي يغلب عليها الطابع القبلي مثل: مملكة اليمن في الجنوب، ومملكة الحيرة في الشمال الشرقي، ومملكة الغساسنة في الشمال الغربي.

م. كان الفرد يتبع القبيلة ويعتز ويفتخر بها ويدافع عنها، والقبيلة تهتم به وتحميه، فكانت الحرية هي السمة السائدة بين الناس رغم تفرقهم في قبائل، ويقود القبيلة اكثرهم جاها ومكانة.

ن. يغلب على القبائل عدم الاستقرار، فالبدو كانوا يتحركون دائما باحثين عن الكلأ والماء.

س. كانت القبائل العربية تتبع لأحدى القوى المحيطة مثل الفرس والروم وتحتمي بها.

ع. وجود مكة المكرمة في قلب الجزيرة العربية حيث يتوجه إليها الناس للحج والتعبد على اختلاف معتقداتهم.

ف. انتشرت الوثنية والخرافات وعبادة الأصنام في الأمة العربية، وقد كان لكل قبيلة صنما في الكعبة، عدا عن الكثير من الأصنام الصغيرة التي كان يحملها الشخص معه في ترحاله.

ص. روى البخاري في صحيحه عن أبي رجاء العطاردي، يقول:

ق. "كنا نعبد الحجر، فإذا وجدنا حجرا هو أخير منه ألقيناه، وأخذنا الآخر، فإذا لم نجد حجرا جمعنا جثوة من تراب، ثم جئنا بالشاة فحلبناه عليه، ثم طفنا به" [2].

ر. انتشرت العديد من العادات والسلوكيات السيئة بين العرب مثل شرب الخمر ووأد البنات، كما انتشرت أخلاق حسنة مثل الشجاعة، والكرم والنخوة وغيرها.

المبحث الثاني: بعثة النبي صلى الله عليه وسلم:

في تلك الأجواء والسلبيات جاءت بعثة النبي عليه السلام للناس كافة حاملا لهم الرسالة الخاتمة، رسالة الرحمة لإنقاذ البشرية من الهلاك المحدق بها في الدنيا قبل الآخرة. فقد كانت البشرية تعيش في مستنقع آسن من الأزمات الاجتماعية والسياسية والدينية والأخلاقية وعدم الاستقرار فكانت البشرية قد

1 الروم 30: 2، 3.

2 البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة، وحديث ثمامة بن أثال، دار طوق النجاة، بيروت، 1422هـ، رقم الحديث: 4376، 171/5.

Al Baṣīrah, Department of Islamic Studies, NUML, Islamabad. https://albasirah.numl.edu.pk/
This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License (CC BY-NC 4.0)

وصلت إلى مستوى أشد ما يكون في حاجة إلى رحمة الله تعالى بالعباد، فكان ذلك ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم حيث حمل النبي عليه الصلاة والسلام رسالة الرحمة إلى العالمين وبدأ بتبليغها وبيانها وتوصيلها للناس حيث اجتهد في ذلك أيما اجتهاد وتحمل التبعات التي جاءت نتيجة ذلك.

معاناة النبي عليه السلام نتيجة تبليغ الرسالة:

منذ أن صدع صلى الله عليه وسلم بتبليغ تلك الرسالة بدأت معها معاناته ممن أنكروا واستكبروا ورفضوا تلك الدعوة، والسيرة النبوية حافلة بالوقائع المختلفة والكثيرة التي تظهر ذلك. وهنا اود الإشارة إلى بعضها دون الحصر أو التفصيل.

الموقف الأول كان عندما سأل النبي المشركين هل هم يصدقونه في كلامه، فكان جوابهم له: ما عهدنا عليك كذبا قط، فهذه كانت الصدمة الأولى والموقف الأول من قبل المشركين من دعوته عليه السلام لهم للإيمان بوحدانية الله تعالى وبنبوته، بعدما سألهم عن رأيهم فيه وهل هم يصدقونه إن أخبرهم بشيء، فقالوا بأنهم لم يعهدوا عليه كذبا قط؟ ولكن عندما أبلغهم بأنه رسول الله وأنه يدعوهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، استكبروا، وانكروا واستهزأوا وكذبوا.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

> "لما نزلت {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [1] صعد النبي عليه الصلاة والسلام على الصفا فجعل ينادي: يابني فهر، يابني عدي–لبطون قريش– حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب، وقريش، فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقا، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب: تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: "تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۖ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ" [2]، [3].

وهكذا بعدما بدأت مرحلة الجهر بالدعوة بدأ الإيذاء والإرهاب من قبل المشركين للمسلمين عامة والنبي عليه السلام خاصة وأخذت وتيرته تزداد يوما بعد يوم. وقد اتخذ ذلك صورا شتى: فمن حملات للتشويه والتشكيك والإساءة إلى الإرهاب والأذى الجسدي.

---

1 الشعراء 26: 214.

2 المسد 111: 1-2

3 البخاري، الجامع الصحيح، كتاب تفسير القرآن، باب {وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك}، دار طوق النجاة، بيروت، 1422هـ، رقم الحديث 4770، 111/6.

Al Baṣīrah, Department of Islamic Studies, NUML, Islamabad. https://albasirah.numl.edu.pk/
This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License (CC BY-NC 4.0)

"كان أبو جهل إذا سمع برجل قد أسلم له شرف ومنعة أنبه وأخزاه، وأوعده بإبلاغ الخسارة الفادحة قي المال، والجاه، وإن كان ضعيفا ضربه وأغرى به" [1].

ولم يتوقف الأمر على الضرب والإيذاء فقط، بل اشتد الأذى حتى وصل إلى القتل بوحشية، كما حدث مع ياسر وسمية وابنهما عمار، رضي الله عنهم أجمعين.

كان عمار بن ياسر رضي الله عته مولى لبي مخزوم، أسلم هو وأبوه وأمه، فكان المشركون – وعلى رأسهم أبو جهل- يخرجونهم إلى الأبطح إذا حميت الرمضاء، فيعذبونهم بحرها. ومر بهم النبي صلى الله عليه وسلم وهم يعذبون فقال: صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة، فمات ياسر في العذاب، وطعن أبو جهل سمية – أم عمار-في قبلها بحربة فماتت، وهي أول شهيدة في الإسلام[2].

ولم يتوقف الأمر هنا بل استمر تعذيب عمار رغم ما رأى من الوحشية مع والديه وقتلهما أمام عينيه.

فشددوا العذاب على عمار بالحر تارة، وبوضع الصخر الأحمر على صدره أخرى، وبالتغريق أخرى. وقالوا: لا نتركك حتى تسب محمدا، أو تقول في اللات والعزى خيرا، فوافقهم على ذلك مكرها، وجاء باكيا معتذرا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله:"مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ" [3].

واستمر التهديد والإيذاء للمسلمين، مما دعا النبي عليه الصلاة والسلام لتوجيه المسلمين للهجرة إلى الحبشة حفاظا على دينهم وأنفسهم. فكانت الهجرة الأولى للحبشة وفيها اثنا عشر رجلا، وأربع نسوة، وذلك في العام الخامس للبعثة. ثم عادوا بعد اسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم عادوا للهجرة إلى الحبشة مرة ثانية وكان فيهم من الرجال ثلاثة وثمانون رجلا وثمان عشرة أو تسع عشرة امرأة [4].

ولم يتوقف الإرهاب والإيذاء على المسلمين فقط، بل طال النبي صلى الله عليه وسلم ففي رواية البخاري عن عروة بن الزبير قال:

"سألت ابن عمرو بن العاص أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون بالنبي صلى الله عليه وسلم،

1 ابن هشام، السيرة النبوية لابن هشام، مكتبة مصطفى البابي، مصر، 1955م، 320/1.
2 المصدر السابق، 319/1.
3 النحل 16: 106.
4 أنظر: المباركفوري، صفي الرحمن ، الرحيق المختوم، دار الهلال، بيروت، الطبعة الأولى،81/1-83.

Al Baṣīrah, Department of Islamic Studies, NUML, Islamabad. https://albasirah.numl.edu.pk/
This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License (CC BY-NC 4.0)

قال بينا النبي عليه الصلاة والسلام يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فوضع ثوبه في عنقه، فخنقه خنقا شديدا، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبيه، ودفعه عن النبي، وقال: أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله؟" [1].

ميثاق المقاطعة

تنادي المشركون للنظر في شأن النبي عليه السلام الذي بقي مصرا على دعوته ولم يستسلم أو يتنازل عنها، ويحظى بحماية قبيلتيه بني هاشم وبني المطلب فاجتمعوا في خيف بني كنانة من وادي المحصب فتحالفوا على بني هاشم وبني المطلب أن لا يناكحوهم، ولا يجالسوهم، ولا يخالطوهم، ولا يدخلوا بيوتهم، ولا يكلموهم، حتى يسلموا إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل، وكتبوا بذلك صحيفة فيها عهود ومواثيق، أن لا يقبلوا من بني هاشم صلحا أبدا، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموه للقتل [2].

نتيجة ميثاق الظلم والعدوان هذا اشتد حصار المشركين للمسلمين في شعب أبي طالب، فلم يترك المشركين أي طعام يصل للمسلمين ولا يخرجون لشراء حوائجهم إلا في الأشهر الحرم، فيشترون من خارج مكة فيضاعف المشركون عليهم الأسعار، وصل الأمر بالناس لأكل الجلود وورق الشجر وكان يسمع أصوات الأطفال والنساء يتضاغون جوعا.

وقد كان من بين المشركين من يخالف تلك الوثيقة وبالتالي يحاولون توصيل بعض الطعام للمسلمين خفية، فسعى هؤلاء على نقض الوثيقة. وتم ذلك بعد مرور عامين أو ثلاثة، حيث ظهرت آية من آيات الله عندما أبلغ النبي عليه السلام بأن الأرضة قد أكلت الصحيفة ولم تبق إلا ما ذكر فيه الله سبحانه وتعالى [3].

وهكذا انتهى الحصار الظالم وتحرر المسلمون من تلك الوثيقة. لكن لم تنتهي الصعاب والعقبات والتعامل المسيء للنبي عليه الصلاة والسلام، فقد توجه عليه السلام إلى الطائف خارج مكة ماشيا على قدميه، لتوصيل الدعوة للناس هناك، فأخذ يدعو كل من يجد في الطريق من أفراد أو قبائل، لكنه لم يجد قبولا أو ترحيبا بل معاندة واستهزاء وإيذاء، ويكفي اشارة هنا ما قام به أهل الطائف من تشجيع السفهاء

1 البخاري، الجامع الصحيح، كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة، دار طوق النجاة، بيروت، 1422هـ، رقم الحديث 3856، 46/5.

2 انظر: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الحج، باب نزول النبي ﷺ مكة، دار طوق النجاة بيروت، 1422هـ، رقم الحديث 1589-1590، 148/2. والعسقلاني، ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ، 453/3.

3 أنظر: المباركفوري، الرحيق المختوم، دار الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، بدون ذكر النشر، ص97- 100.

Al Baṣīrah, Department of Islamic Studies, NUML, Islamabad. https://albasirah.numl.edu.pk/
This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License (CC BY-NC 4.0)

والصبيان من التعرض للنبي عليه السلام ورميهم له بالحجارة حتى سالت قدماه الطاهرتان. فقد اصيب عليه الصلاة والسلام بالحزن الشديد لهذا الموقف من أهل الطائف، وليس أدل على ذلك من الدعاء الذي انطلق به عليه السلام:

"اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك عليَّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك، أو يحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك" [1].

كان هذا استعراض سريع لابد منه في هذا المقام لارتباطه الوثيق بما يأتي في المباحث التالية. حيث يظهر من خلاله مقدار ما واجهه النبي عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم والصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين. وفي المقابل كيف كان تعامله مع المشركين فيما بعد مما يبين لنا مقدار حرصه عليه السلام على التعايش السلمي مع الآخر.

المبحث الثالث: نماذج من معاهدات النبي صلى الله عليه وسلم:

مع استمرار المعاناة، استمر النبي والمسلمين في الدعوة إلى الدين الحق، وقد حرص على اللقاء بالوفود القادمة للحج لتعريفهم برسالة الإسلام ودعوتهم للتصديق به. وقد أسلم من أهل المدينة بعض القادمين للحج مما أدى إلى بيعة العقبة الأولى سنة 12 للنبوة، وكان عدد المبايعين اثنا عشر رجلا، وإرساله مصعب بن عمير ليقوم على تعليم الناس امر دينهم ويدعو غير المسلمين للدخول في الإسلام والثانية مع من أسلموا من أهل المدينة وحضروا للحج في العام التالي، وكان عددهم ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان[2].

ثم توج هذا الجهد بهجرة الصحابة إلى المدينة المنورة، ثم جاءت هجرة النبي عليه الصلاة والسلام. وبوصوله عليه السلام إلى المدينة المنورة استمرت الجهود الدعوية وانطلقت مرحلة جديدة من الفعاليات والأنشطة الاجتماعية والسياسية، وسط المسلمين، وكذلك بين المسلمين وغيرهم.

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار أو ميثاق التحالف الإسلامي:

أول خطوة خطاها النبي صلى الله عليه وسلم هو صياغة المجتمع المسلم الناشئ وصهره في بوتقة

1 ابن هشام، السيرة النبوية لابن هشام، مكتبة مصطفى البابي، مصر، 1955م، 420/1.
2 انظر: المصدر السابق ص 420.

Al Baṣīrah, Department of Islamic Studies, NUML, Islamabad. https://albasirah.numl.edu.pk/
This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License (CC BY-NC 4.0)

واحدة، فبعد أن قام النبي صلى الله عليه وسلم ببناء المسجد، مركز التجمع والتآلف، قام بعمل آخر من أروع ما يأثره التاريخ، وهو عمل المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار. قال ابن القيم:

"ثم آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار، في دار أنس بن مالك، وكانوا تسعين رجلا، نصفهم من المهاجرين، ونصفهم من الأنصار، آخى بينهم على المواساة، ويتوارثون بعد الموت دون ذوي الأرحام، وإلى حين وقعت بدر، فلما أنزل الله عزوجل وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض رد التوارث، دون عقد الأخوة"[1].

ولقد كانت صورة أنصار المهاجرين والأنصار بعضهم ببعض نموذجا نادرا من النماذج عبر التاريخ، وقد وردت الروايات المتعددة التي تبين تلك الصورة الرائعة والرائدة التي حدثت في المجتمع الجديد. منها ما رواه البخاري:

> "أنهم لما قدموا المدينة آخى رسول الله عليه الصلاة والسلام بين عبد الرحمن وسعد بن الربيع، قال لعبد الرحمن: إني أكثر الأنصار مالا، فأقسم مالي نصفين، ولي امرأتان، فانظر أعجبهما إليك فسمها لي، أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها، قال: بارك الله لك في أهلك ومالك، وأين سوقكم؟ فدلوه على سوق بني قينقاع، فما انقلب إلا ومعه فضل أقط وسمن، ثم تابع الغدو، ثم جاء يوما وبه أثر صفرة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: مهيم؟ قال تزوجت. قال: كم سقت إليها؟ قال: نواة من ذهب" [2].

ولم يتوقف الأمر إلى هذا الحد، بل قام عليه الصلاة والسلام بعقد معاهدة ألغت كل ما كان في الجاهلية من القبلية والعصبية والتقاليد الباطلة. المعاهدة مضمونة في كتب التاريخ[3]. ومن خلال دراسة تلك البنود التفصيلية نستخلص منها مسائل بارزة منها:

أ. أنها شملت بنودا عديدة وتفصيلية زادت على الأربعين بندا.

ب. أنها صهرت جميع المسلمين في بوتقة واحدة أسمها الأمة.

ج. أنها ذكرت القبائل في المدينة من مسلمين ومشركين ويهود، كل قبيلة بإسمها.

---

1 ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1994م 56/3.

2 البخاري، الجامع الصحيح، كتاب مناقب الأنصار، باب إخاء النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار، دار طوق النجاة، بيروت، 1422هـ، رقم الحديث 3780، 31/5.

3 الصلابي، علي محمد، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث دروس وعبر، دار ابن كثير، دمشق، 2009م، 454/1 – 458.

Al Baṣīrah, Department of Islamic Studies, NUML, Islamabad. https://albasirah.numl.edu.pk/
This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License (CC BY-NC 4.0)

د. بينت العلاقات بين قبائل المسلمة فيما بينهم.

هـ. بينت العلاقات بين القبائل المسلمة واليهودية.

و. بينت العلاقات بين أهل المدينة وغيرهم.

ز. بينت حقوق وواجبات كل قبيلة في المدينة وحولها في جميع الظروف والأحوال.

ح. اعتبار أن جميع من في المدينة ومن حولها مواطنون لهم حقوقهم لا يظلمون ولا يتناصر عليهم.

ط. تحديد المرجعية في حال نشوب اختلاف أو اشتجار.

المعاهدة مع يهود المدينة

في إطار سعيه عليه الصلاة والسلام للتعايش السلمي وانتزاع أسباب النزاع والشجار والقتال بدأ عليه الصلاة والسلام بتنظيم علاقاته بغير المسلمين، وكان قصده بذلك هو توفير الأمن والسلام والسعادة والخير للبشرية جمعاء، مع تنظيم المنطقة في وفاق واحد، فسن في ذلك قوانين السماح والتجاوز التي لم تعهد في ذلك العالم المليء بالتعصب والأغراض الفردية والعرقية" [1].

لتحقيق ذلك قام بعقد معاهدة مع القبائل اليهودية التي تقطن حول المدينة، حيث كانوا أقرب من يجاور المدينة من غير المسلمين. بنود المعاهدة مذكورة في الهامش.[2] وبموجب هذه المعاهدة ستكون المدينة عاصمة مستقرة وفي توافق للتعايش مع الآخر في أمن وأمان، وقد وجدنا في هذه المعاهدة ما يلي:

أ. أنها تركت الحرية الدينية لأطراف المعاهدة من المسلمين واليهود.

---

1 المباركفوري، صفي الرحمن، الرحيق المختوم، دار الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، بدون ذكر النشر، ص 173.

2 بنود المعاهدة حسب التالي: * إن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم، كذلك لغير بني عوف من اليهود. * وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم. * وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة. * وإن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم. * وإنه لم يأثم امرؤ بحليفة. * وإن النصر للمظلوم. *وإن اليهود يتفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين. * وإن يثرب حرام جوفها لأجل هذه الصحيفة. * وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فمرده إلى الله عزوجل، وإلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم. *وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها. * وإن بينهم النصر على من دهم يثرب...على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم. * وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم.

Al Baṣīrah, Department of Islamic Studies, NUML, Islamabad. https://albasirah.numl.edu.pk/
This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License (CC BY-NC 4.0)

ب. أنها شملت يهود بني عوف وغير بني عوف من اليهود.

ج. نصرة المظلوم دون النظر لدينه، والوقوف أمام الظالم.

د. أن الدفاع عن المدينة وحمايتها واجب الجميع.

هـ. النصح والنصيحة والبر هو اسلوب التعامل بين الجميع.

و. عدم مناصرة قريش أو حلفاؤها.

ز. تحديد المرجعية في حال حدوث حادث أو اشتجار.

صلح الحديبية (المعاهدة مع المشركين)

ونموذج آخر من معاهدات النبي صلى الله عليه وسلم مع المشركين هو صلح الحديبية، والذي عقد بعد أن كان المسلمون برفقة النبي في طريقهم إلى مكة لأداء العمرة، إلا أن قريشا اهتزت واضطربت لهذا الحدث إن تم، لذلك كان صلى الله عليه وسلم حريصا على عقد الصلح لأنه أصلا لم يأت للقتال، فكان الصلح. فالبنود مذكورة في الهامش[1]. ويظهر من خلال هذه البنود التي اتفق عليها الطرفان مائل هامة نوجزها فيما يلي:

أ. فتح الطريق للناس من كل طرف للمرور بأمان على نفسه وماله من خلال منطقة الطرف الآخر لأمور العبادة أو التجارة.

ب. فتح الباب لبقية القبائل للدخول في حلف أي من الطرفين، وبالتالي تسري عليها بنود المعاهدة.

1 باسمك اللهم * هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله، سهيل بن عمرو، واصطلحا على وضع الحرب على الناس عشر سنين، يأمن فيهن الناس، ويكف بعضهم عن بعض. *على أنه من قدم مكة من أصحاب محمد حاجا أو معتمرا أو يبتغي من فضل الله، فهو آمن على دمه وماله، ومن قدم المدينة من قريش مجتازا إلى مصر أو إلى الشام، يبتغي من فضل الله فهو آمن على دمه وماله. * على أنه من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه. * وأن بيننا عيبة مكفوفة، وأنه لا إسلال ولا إغلال. * وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخله، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن في عقد محمد وعهده، تواثبت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش، وعهدهم. * وأنت ترجع عنا عامك هذا، فلا تدخل علينا مكة، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك، فأقمت بها ثلاثا معك سلاح الراكب، السيوف في القرب، ولا تدخلها بغيرها. * وعلى أن هذا الهدي ما جئناه ومحله فلا تقدمه علينا. * وشهد على الصلح رجال من المسلمين ورجال من المشركين: فمن المسلمين: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن سهيل بن عمرو، وسعد بن أبي وقاص، ومحمد بن سلمه، وعلي بن أبي طالب كاتب المعاهدة رضي الله عنهم أجمعين. ومن المشركين: مكرز بن حفص، وسهيل بن عمروالصلابي، علي محمد، السيرة النبوية، دار ابن كثير، دمشق، 2009م، 2/300 – 301.

Al Baṣīrah, Department of Islamic Studies, NUML, Islamabad. https://albasirah.numl.edu.pk/
This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License (CC BY-NC 4.0)

ج. وأن يسمح للنبي والمسلمين بالمجيء في العام القادم لأداء مناسك الحج والعبادة دون أن يتعرض لهم المشركون.

معاهدته صلى الله عليه وسلم مع نصارى نجران

وهذا نموذج آخر من معاهداته عليه الصلاة والسلام مع فئة أخرى غير الفئات السابقة، ليست فئة المشركين وليست فئة اليهود، فهم من نصارى نجران حيث عقد معهم معاهدة نذكر بنودها لننظر فيما اتفق عليه الطرفان وماذا نستخلص منه من دروس وعبر. بنود المعاهدة مع نصارى نجران مذكورة في الهامش:[1]. وبالنظر إلى هذا الميثاق الذي عقده النبي صلى الله عليه وسلم مع أهل نجران من النصارى نجد ما يلي:

أ. أنه عليه السلام قد أمنهم على كل أموالهم وممتلكاتهم وبيعهم ولم يتعرض لها بسوء.

ب. كما أمنهم على أنفسهم وعشيرتهم والغائب منهم والحاضر.

ج. أبقى كل ذو منصب أو مكانة دينية عندهم، ابقاهم في أماكنهم ولم يتعرض لهم بعقوبة أو إيذاء.

د. أنه لا يطأ أرضهم جيش، أي هم في أمان من الحرب.

هـ. التأكيد على التعامل العادل معهم وعدم ظلمهم، وعدم ظلم أحد منهم بجريرة آخر.

الأسس المشتركة بين تلك المعاهدات والتعايش السلمي

1 "بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما كتب محمد النبي رسول اللهﷺ لأهل نجران: إذا كان عليهم. حكمه في كل ثمرة، وفي كل صفراء وبيضاء ورقيق، فأفضل ذلك عليهم، وترك ذلك كله لهم، على ألفي حلة من حلل الأواقي: في كل رجب ألف حلة، وفي كل صفر ألف حلة، كل حلة أوقية من الفضة. فما زادت على الخراج، أو نقصت عن الأواقي فبالحساب. وما قضوا من دروع، أو خيل، أو ركاب، أو عروض أخذ منهم بالحساب. وعلى نجران مؤنة رسلي، ومتعتهم، ما بين عشرين يوما فما دون ذلك، ولا تحبس رسلي فوق شهر. وعليهم عارية ثلاثين درعا، وثلاثين فرسا، وثلاثين بعيرا، إذا كان كيد باليمن ومعرة. وما هلك مما أعاروا رسلي من دروع، أو خيل، أو ركاب، أو عروض، فهو ضمين على رسلي، حتى يؤدوه إليهم. ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أموالهم، وأنفسهم، وملتهم، وغائبهم، وشاهدهم وعشيرتهم، وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير. لا يغير أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانتيه ولا كاهن من كهانته. وليس عليهم ربية، ولا دم جاهلية. ولا يحشرون، ولا يعشرون، ولا يطأ أرضهم جيش. ومن سأل منهم حقا فبينهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين. ومن أكل ربا من ذي قبل فذمتي منه بريئة. ولا يؤخذ رجل منهم بظلم آخر. وعلى ما في هذا الكتاب جوار الله، وذمة محمد النبي رسول الله، حتى يأتي الله بأمره، ما نصحوا وأصلحوا ما عليهم، غير مثقلين بظلم. شهد أبو سفيان بن حرب، وغيلان بن عمرو، ومالك بين عوف من بني النضر، والأقرع بن حابس الحنظلي، والمغيرة بن شعبة. وكتب لهم هذا الكتاب عبد الله بن أبي بكر" ينظر: محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار النفائس، بيروت، 1407هـ، ص 174 – 176.

Al Baṣīrah, Department of Islamic Studies, NUML, Islamabad. https://albasirah.numl.edu.pk/
This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License (CC BY-NC 4.0)

والآن جاء الوقت لننظر في مختلف المعاهدات النبوية التي عقدها فيما بين المسلمين، بين المسلمين واليهود، بين المسلمين والنصارى، وبين المسلمين والمشركين. ولننظر ماهي الأسس المشتركة بين هذه المعاهدات ومدى اهتمام النبي ﷺ في التعايش السلمي مع الآخر. فبعد التدقيق والتمعن في بنود تلك المعاهدات سنخلص إلى اسس أهمها:

أ. عدم التفاوض حول أي مسألة من مسائل الدين، فالدين ومعتقداته وتشريعاته ومناسكه بعيدة عن مجال التفاوض، ولا مجال للنقاش فيها سوى الحرص على نشرها وتبليغها للناس دون إكراه أو إلزام من منطلق قوله تعالى: "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ" [1].

ب.في نفس الوقت يظهر مقدار احترام النبي صلى الله عليه وسلم للمعتقدات الأخرى. فلم نجد في أي معاهدة من المعاهدات أي نوع من الاستهزاء أو السخرية أو الاستخفاف بالأديان الأخرى وبأي شكل من الأشكال.

ج. يظهر من المعاهدات المختلفة حرص النبي صلى الله عليه وسلم على نزع فتيل الاقتتال والحرب، وبالتالي التعايش السلمي مع الآخر.

د. كذلك لم نجد في أي معاهدة من المعاهدات، سواء التي عقدت بين المسلمين أنفسهم كما في المؤاخاة بين المهاجرين والانصار أو المعاهدات التي عقدت مع الأقوام الآخرين، لم نجد أي نص أو حتى إشارة تشير الى التحالف للاعتداء على طرف ثالث أو التآمر عليه.

هـ. بالرغم المعاناة العظيمة التي وجدها النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين من المشركين في مكة والطائف من ارهاب وإيذاء وتنكيل، ومقاطعة وإخراج وقتل إلا أنه صلى الله عليه وسلم لم يفكر للحظة واحدة في الانتقام من هؤلاء والأخذ بالثأر ممن قاموا وحرضوا على تلك الأعمال ضد المسلمين، بل آثر التعايش السلمي معهم، وليس أدل على ذلك مما حدث عند فتح مكة عندما سأل النبي عليه السلام أهل مكة:

و. "ما تضنون أني فاعل بكم؟ فقالوا: أخ كريم وابن أخ كريم فقال: اذهبوا فأنتم الطلقاء" [2].

ز. وبالرغم من انتشار التسلط والظلم وعدم المساواة بين المواطنين أنفسهم ناهيك عن الآخرين يظهر ذلك جليا لدى امبراطوريتي الروم والفرس وشبه الجزيرة العربية وشبه القارة الهندية آنذاك إلا أنه صلى

1 البقرة 2: 256.

2 ابن زنجويه، حميد بن مخلد، الأموال لابن زنجويه، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، 1986 م، رقم الحديث 456، 293/1.

Al Baṣīrah, Department of Islamic Studies, NUML, Islamabad. https://albasirah.numl.edu.pk/
This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License (CC BY-NC 4.0)

الله عليه وسلم لم يبح لنفسه التصرف بنفس الطريقة مع المواطنين ولا حتى مع المخالفين. كيف لا وهو قد جاء رحمة للعالمين وليس مهلكا لهم أو متسلطا عليهم.

ح. عندما نبحث في اختيار النبي صلى الله عليه وسلم للحبشة كي يهاجر إليها المسلمون حفاظا على دينهم، رغم أن ملك الحبشة كان على دين آخر، لكنه بحث عن المكان الذي فيه عدل وعدم الظلم، ولن يبحث انسان معتد أو ظالم عن العدل. فلو كان النبي عليه الصلاة والسلام منتهجا الظلم والاعتداء وأخذ حقوق الآخرين.... فما كان له أن يبحث عن مكان ليس فيه ظلم.

نتائج البحث:

عدم التفاوض حول أي مسألة من مسائل الدين، فالدين ومعتقداته وتشريعاته ومناسكه بعيدة عن مجال التفاوض، ولا مجال للنقاش فيها سوى الحرص على نشرها وتبليغها للناس دون إكراه.

احترام النبي صلى الله عليه وسلم للمعتقدات الأخرى. فلم نجد في أي معاهدة من المعاهدات أي نوع من الاستهزاء أو السخرية أو الاستخفاف بالأديان الأخرى وبأي شكل من الأشكال.

بالرغم المعاناة العظيمة التي وجدها النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين من المشركين في مكة والطائف من ارهاب وإيذاء وتنكيل، ومقاطعة وإخراج وقتل قبل توقيع المعاهدات إلا أنه عليه الصلاة والسلام لم يفكر للحظة واحدة في الانتقام من هؤلاء والأخذ بالثأر ممن قاموا وحرضوا على تلك الأعمال ضد المسلمين، بل آثر التعايش السلمي معهم.

لم يكتب التاريخ أن النبي عليه السلام قد بادر إلى نقض أي من العهود التي أبرمها، ولكن أتخذ الإجراء والفعل القوي تجاه من قام بالإخلال ونقض العهود والمواثيق كما حدث مع اليهود في المدينة على سبيل المثال.

Al Baṣīrah, Department of Islamic Studies, NUML, Islamabad. https://albasirah.numl.edu.pk/
This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License (CC BY-NC 4.0)